وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــة بغـــداد
كلية التربية / ابن رشد



الأستاذ

مجلة كلية التربية

ابن رشد / جامعة بغداد

العدد الرابع عشر ايار ١٩٩٩

من المصطلح النحوي عند الفراء (ت ٢٠٧ هـ)
" الصرف " و " الخروج "
دراسة نحوية ، اسلوبية

الملخص

يهتم البحث بمصطلحي " الصرف " و " الخروج " اللذين لم يأخذا نصيبهما من البحث ، والتبيين ، والتمييز بشكلٍ كافٍ على الرغم من جهد العلماء والقدماء والباحثين المعاصرين واجتهادهم في دراسة المصطلحات النحوية ، وبيان مفاهيمها، وابراز مواطن الاتفاق ، والاختلاف فيها بدقة ؛ فمصطلحا " الصرف " و " الخروج " هما اوسع مفهوماً مما عرضه القدماء والمحدثون ، لاسيما مصطلح " الصرف " الذي لم يقتصر عند الفراء على الواو والمسماة بـ ((واو الصرف)) عند الكوفيين، فضلاً عن انه يشمل مجالين اساسيين هما : المجال النحوي ، والمجال الاسلوبي ، وقد اهتم البحث بهما تفصيلاً . كما تعرض البحث الى علاقتهما بمصطلح ((الخلاف)) وميز بينها بما يرفع الخلط بين مضامينها ، وفي اصل اطلاقها .

الباحث

من المصطلح النحوي عند الفراء (ت ٢٠٧ هـ)
" الصرف " و " الخروج "
دراسة نحوية ، أسلوبية

توطئة :

بات من المؤكد ان للمصطلح العلمي أثراً في عكس صورة التقدم العلمي لهذا العلم او ذاك ؛ او في كشف المنهج العلمي لمدرسةٍ او اتجاهٍ ما ؛ وهذا ما يمكن ان نلمسه في تراثنا العلمي الثر ولاسيما في تراثنا النحوي واللغوي الذي زخر بالمصطلحات بحسب الاتجاهات او المدارس ان جاز التعبير . فقد شهد النحو نمواً مطرداً مع بدء الدراسات القرآنية ، مكتسباً استقلاله العلمي بمصطلحات شتى اختص بها ، كانت اساساً لتنظيم الافكار العلمية والمفاهيم النحوية ، ووسيلة منهجية للتعبير عنها [١] .

وبرزت هذه المنهجية العلمية عند نحاة مدرستي البصرة والكوفة معاً ، لكنها بدت مختلفة بينهما ، إذ ان جملة من المصطلحات لم تكن موحدة بينهما ، فقد اختلف نحاة المدرستي في اطلاقها على مفاهيم متفق عليها ، او مختلف فيها .

واهتم الباحثون المعاصرون بدراسة المصطلحات النحوية عند النحاة كما اهتم القدماء من قبل ، مبرزين مفاهيمها ، ومواطن الاتفاق والاختلاف فيها بدقة .

وعلى الرغم من جهدهم واجتهادهم فيها ، فأن مصطلحي " الصرف " و " الخروج " لم ياخذا نصيبهما من البحث والتبيين والتمييز بشكل كاف ، لاسيما انهما وردا عند الفراء (ت ٢٠٧ هـ) في كتابه (معاني القرآن) – الذي تجسدت فيه سمات المدرسة الكوفية النحوية – مميزان بخصائص اسلوبية يندر وجودها مجتمعة في غيرها ، فضلاً عن خصائصهما النحوية .

* * *

---

[١] ينظر : مقدمة في علم المصطلح : ٩ ، ٩٣ .

يستشف حد الصرف عند الفراء (ت ٢٠٧ هـ) من قوله : ((ان تاتي الواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم اعادتها على ما عطف عليها))[١]، واستشهد لذلك بقول الشاعر : [٢]

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

ثم راح يبين الامر ويزيده جلاءً وتوثيقاً : ((الا ترى انه لا يجوز اعادة (لا) في " تأتي مثله " ، فلذلك سمي صرفاً ، إذ كان معطوفاً ، ولم يستقم ان يعاد فيه الحادث الذي قبله))[٣].

ويزيد الفراء هذا المصطلح بعض الوضوح حين يتعرض اليه في موضع آخر فيحده قائلاً : ((أن يجتمع الفعلان " بالواو " او " ثم " او " الفاء " او " أو " ، وفي أوله جحد او استفهام ، ثم ترى ذلك الجحد او الاستفهام ممتنعاً ان يكر في العطف))[٤] .

وفي الحقيقة ، ان مصطلح الصرف عند الفراء ليس بهذا المفهوم المحدود الذي عرضه في هذا الموضع، او في الموضع الذي عرضناه قبل قليل ، وليس بالمفهوم الذي عرض له بعض المحدثين[٥]، فشاع ان الصرف عنده لا يخرج عن هذا الاطار ، بل ان مجمل ما اضافوه الى ما سبق مصطلح " واو الصرف " الذي لم يرد اصطلاحاً عند الفراء وقد اختلف المحدثون فيه ، فبعضهم جعله مقيداً بوقوع الفعل بعده ، وبعضهم الآخر اطلقه فاشرك وقوع الاسم المنصوب بعده[٦].

---

[١] معاني القرآن : ١٣٤/١ .

[٢] ينظر ، المصدر نفسه : ١٣٤/١ ، ٤٠٨/١ ، والبيت نسبه سيبويه في الكتاب ٤١/٣ الى الاخطل . وقيل لابي الاسود الدؤلي ، وقيل لغيرهما . ينظر : خزانة الادب : ٦١٧/٣ .

[٣] معاني القرآن : ١ / ٣٤ .

[٤] معاني القرآن : ٢٣٥/١ .

[٥] ينظر : مدرسة الكوفة :٣٣٩ ، ٣٥٠ – ٣٥١ ، المصطلح النحوي ١٨٧ ، نحو القراء الكوفيين ٣٤٧ – ٣٤٨ .

[٦] نحو القراء الكوفيين : ٤٨ وينظر : مدرسة الكوفة : ٣٥١ ، المصطلح النحوي ١٨٧ .

وكان ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) ينسب الاصطلاح الى الكوفيين[١] ، ومنه استنتج الدكتور مهدي المخزومي : ((ان الصرف خاص بالواو))[٢] عندهم . الا انه صحح المصطلح باصطلاح آخر هو " احرف الصرف "[٣] الذي شمل " ثم " و " الفاء " و " أو " مستنداً الى تعريف الفراء " الصرف "[٤] الذي تقدم ذكره .

ان حقيقة مصطلح " الصرف " عند الفراء لهي اوسع واشمل مما عرض له المحدثون ، واستظهروه من كلامه ، ومن كلام النحويين المتاخرين ، البصريين منهم بخاصة . والاتساع او الشمول الذي أشير اليه برز من خلال استقراء المصطلح في كتابه " معاني القرآن " والتحليل المتواضع لنصوصه ، مستنيراً بما عرض له النحاة في مظان مصنفاتهم ، وارتأيت ان اضع مضامينه مفصلة ضمن إطار اسلوبي جامع لها ، فرضته المضامين نفسها بعد تحديد مجال عمله النحوي أولاً .

أولاً : المجال النحوي لمصطلح " الصرف "

يعمل الصرف عند الفراء في الافعال والاسماء على السواء ، وفيها يأتي بيانهما :

١. في الأفعال :

يعمل " الصرف " في الأفعال كما يتضح من قوله الفراء في حده في بعض المواضع بـ : ((أن يجتمع الفعلان " بالواو " ، أو " ثم " ، أو " الفاء "، او" أو " وفي أوله جحد او استفهام ...)) . فالصرف يعمل النصب في الافعال الواقعة بعد هذه الاحرف [٥] ...

---

[١] مغني اللبيب (الواو المفردة) : ٢ / ٣٦١ .

[٢] مدرسة الكوفة : ٣٥١ .

[٣] المصدر نفسه : ٣٥٠ – ٣٥١ .

[٤] ينظر :معاني القرآن : ١ / ٢٣٥ .

[٥] معاني القرآن : ١ / ٢٣٥ ، سيأتي بيان للمضامين التي خرجت اليها هذه الافعال في " المجال الاسلوبي " .

٢.في الاسمـــاء :

لا يقتصر عمل " الصرف " عند الفراء على الافعال فحسب ، بل انه يعمل في الاسماء ايضاً ، فقد أشار اليه ، ومثل له بعد ان عرض لعمله في الافعال ، فقال: ((ومثله [أي مثل الافعال] من الاسماء التي نصبتها العرب وهي معطوفة على مرفوع))[١]. ولعل من المثير ان نشير الى ما ذهب اليه د. مهدي المخزومي حينما قال عن " الصرف " : ((مجال تطبيقه الفعل لا الاسم ، كما يفهم من كلامه))[٢] ورجح ((انطباقه على النصب بعد " واو المعية "))[٣] بلا سند يقدمه من كلام الفراء ، ولا ادري لماذا رجح ذلك ، والنص بين يديه ينطق صراحة به، والفراء، فضلاً عن كلامه الذي ذكرناه يمثل له ، فيزيده ايضاحاً ولا يدع مجالاً لمستزيدٍ ، فيقول : ((قولهم : " لو تركت والاسد لاكلك " و " ولو خليت ورأيك لضللت " . لما لم يحسن في الثاني ان تقول : " لو تركت وترك رأيك لضللت " تهيبوا ان يعطفوا حرفاً لا يستقيم فيه ما حدث في الذي قبله))[٤].

العامل بين " الصرف " و " الخلاف "

يفهم مما مضى ان العامل في الافعال او الاسماء المنصوبة بعد " احرف الصرف " عند الفراء هو " الصرف " نفسه . ويفهم مما نسب الى الكوفيين من القول بـ " واو الصرف " ان " الواو " هي العاملة بنفسها ، وذلك لصرفها الكلام عن سننه غير عاطفة [٥] .

وهذا الخلاف شبيه بالخلاف الذي حدث بين البصريين انفسهم في الناصب لما بعد احرف النصب، فسيبويه (ت١٨٠هـ) رفض ان تكون هذه

---

(١) معاني القرآن : ١ / ٣٤ .

(٢) أي : من كلام الفراء ، مدرسة الكوفة : ٣٥١ ، وينظر : المصطلح النحوي : ١٨٧ .

(٣) مدرسة الكوفة : ٣٥١ .

(٤) معاني القرآن : ١ / ٣٤ .

(٥) ينظر : مغني اللبيب : ٢ / ٣٦١ .

الاحرف ناصبة للمضارع بنفسها،ورأى ان النصب يكون بتقدير (أن) مضمرة بعدها[1]

وذهب الجرمي (ت ٢٢٥ هـ) الى ان هذه الاحرف نفسها هي الناصبة[2] والى مثله ذهب الكسائي[3] (ت ١٨٩ هـ) من الكوفيين ، اذ ذهب الى ان " أو " في قول امرئ القيس[4] .

فقلت لها لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً او نموت فتعذرا

ناصبة للفعل بنفسها[5].

ولم يذهب المبرد (ت٢٨٥ هـ) مذهبهما ، بل ذهب مذهب سيبويه[6]. لكن المشهور عن الكوفيين القول بـ " الخلاف " في هذه المسألة ، بل ذهب بعضهم الى ابعد من هذا فنسب " الخلاف " الى الفراء اصطلاحاً ومضموناً [7] ؛ وقبل ان نبت فيهما يجدر بنا ان نبين المراد من مصطلح " الخلاف " وعلاقته بـ " الصرف".

الخلاف :

هو احد العوامل المعنوية عند الكوفيين ، فالظروف تنتصب على " الخلاف" إذا وقعت اخباراً للمبتدءات مثل : " زيد أمامك " و " عمرو وراءك " . وينصب المفعول معه والفعل المضارع الواقع بعد احرف النصب – التي ذكرها الفراء – على " الخلاف " وقد تبع القول بالخلاف القول بالمبتدأ المخالف ، والخبر المخالف، فيما إذا كانا ظرفاً او جاراً ومجروراً ، وبالنعت المخالف فيما إذا كان محلاً او جاراً مع المجرور يبين وصفاً نكرة [8] .

وقد رفض البصريون ذلك كله ، وذهبوا الى ان الخبر الظرف منصوب بفعل مقدر ، والتقدير : " زيد استقر وراءك " [9] ، وان المفعول معه منصوب

(1) الكتاب : ١ / ٣٤٧ .

(2) شرح الكافية : ٢ / ٢٤١ .

(3) الجنى الداني : ٢٣٢ .

(4) ديوان امرئ القيس : ٦٦ ، وينظر : كتاب سيبويه : ٣ / ٤٧ .

(5) ينظر : الجنى الداني : ٢٣١ وفيه (فقلت له ...) .

(6) ينظر : المقتضب : ٢ / ٢٨ – ٢٩ .

(7) ينظر : ابو زكريا الفراء ، ومذهبه في النحو واللغة : ٤٥٤ .

(8) ينظر : الموفي في النحو الكوفي : ٣٠ – ٣١ .

(9) ينظر : الانصاف ، المسالة ٢٩ : ١ / ٢٤٥ ، شرح المفصل ، ٧ / ٢١ .

بالفعل الذي قبلـه بتوسط " الواو " . وان الناصب للفعل المضارع الواقع بعد الاحرف هو " ان " المضمرة[١] ، كما سبق ذكره ، أما المبتدأ المخالف فهو خبر مقدم ، والخبر المخالف هو الخبر نفسه[٢] .

فهذا هو الخلاف بمجمله ، فإذا ما وازنا بينه وبين " الصرف " الذي عرضناه مجملاً ايضاً ، اتضح بما لا يقبل الشك ان " الصرف " اخص من " الخلاف " ؛ فهو مقصور على ما يسمى عند البصريين بـ " المفعول معه " ، وعلى نصب الفعل المضارع بعد مجموعة من الاحرف وفضلاً عما تقدم ؛ أنه لم يؤثر عن الفراء القول بـ " الخلاف " بل أثر عنه القول بـ " الصرف " صراحة كما عبر عنه اصطلاحاً كقوله : ((... نصباً على الصرف))[٣] و ((النصب جائز على الصرف))[٤] ، وهو عامل معنوي لا يعتمد على الاضمار والتقدير .

أما ما ذكر من ان "الخلاف" من مصطلحات الفراء لوروده عند الكوفيين فلا عبرة به لخلو كتابه "معاني القرآن" منه،كما انه ليس كل ما قال به الكوفيون يعني بالضرورة قول الفراء اصطلاحاً ومضموناً كما توهمه بعض المحدثين[٥]، وقد بالغ بعضهم فعد "الخلاف" -بلا دليل- من مصطلحات الفراء المبتكرة تسمية ومضموناً[٦]

فأذا كان الفراء لم يقل بـ" الخلاف"،ولم يتوسع في "الصرف " بحسب الجهات التي ذكروها ، فما معنى اعتراض بعض النحاة عليه ، كابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ)، والد ماميني (ت ٨٢٧ هـ) ؛ فاعتراض ابن يعيش ينحصر في سؤاله الآتي :

ان الخلاف لم يكن في الاصل ناصباً ، فكيف يكون في الفروع ناصباً؟[٧]

وينحصر اعتراض الدماميني في كون اخراج الحروف عن العطف خلاف للاصل[٨].

---

[١] ينظر الانصاف : المسألة ٣٠ : ١ / ٢٤٨ ، همع الهوامع ١ / ٢٢٠ .

[٢] ينظر : الانصاف : المسألة : ٧٦ : ٢/٥٥٧ ، معاني الحروف ٦٢ – ٦٣ . ينظر : فلسفة المنصوبات:٣٠ – ٣٣

[٣] معاني القرآن : ١ / ١١٥ .

[٤] المصدر نفسه : ١ / ٢٧٦ .

[٥] ينظر : مدرسة الكوفة : ٣٣٨ – ٣٣٩ . ابو زكريا الفراء ٤٥٣ – ٤٥٤ .

[٦] ينظر : ابو زكريا الفراء : ٤٥٣ – ٤٥٤ .

[٧] ينظر : شرح المفصل : ٧ / ٢١ ، مغني اللبيب : ٢ / ٣٦٠ – ٣٦١ ، همع الهوامع:٢١٩/١

[٨] تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ق ١١ عن المصطلح النحوي ١٨٨ – ١٨٩ .

أما مدى اعتبار " الصرف " عاملاً حقيقياً في الاصل وفي الفرع كما عبر عنه ابن يعيش – في سؤاله المذكور انفاً – بالخلاف ، فجوابه ينحصر في كون النزاع لفظياً لا يترتب عليه خلاف عملي ، لأن العامل وقوته عندهما مغيبان ، سواء أكان العامل مضمراً مقدراً أم معنوياً .

وينبغي ان نشير الى حقيقة اخرى هي ان مصطلح " الصرف " لم يكن من المصطلحات المبتكرة عنواناً ومضموناً عند الفراء كما ادعاه بعض المحدثين ، وهم انفسهم الذين ادعوا كون مصطلح " الخلاف " منه[1]، لأن الفراء نفسه يكرر عبارات دالة على ذلك ، مثل قوله : ((على ما يقول النحويون من الصرف))[2] ، و ((وهو الذي يسميه النحويون الصرف))[3] .

على ان للمحدثين الحق في ربطهم مصطلح " الصرف " بمصطلح " الخروج " لترادفهما عند الفراء [4] ، كما يظهر من تفسيره قوله تعالى : ((أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على ان نسوي بنانهُ))[5] . يقول : ((وقوله: " قادرين " ، نصبت على " الخروج " من " نجمع " كانك قلت في الكلام : أتحسب ان لن نقوى عليك ، بلى قادرين على أقوى منك))[6] . كما انه جوز الرفع على الاستئناف بتقدير ((بلى نحن قادرون على اكثر من ذا)) .

لكن مصطلح " الخروج " يندر ذكره في كتابه : معاني القرآن [7]. ويبدو ان الفراء كان يفضل استعمال لفظ (الصرف) على غيره مما يضارعه في المعنى، بقصد او بغير قصد ولعل مرد ذلك ان الفراء احس بذوقه اللغوي المرهف بما في لفظ (الصرف) من دلالة لا توجد في (الخلاف) ولا في (الخروج) فالصرف فيه معنى (الابعاد) المقصود؛ وهو انسب مع العامل الذي يسند اليه العمل.أما الخلاف والخروج فدلالتاهما عامتنان ليس لهما أثر لقصد او لعمل مقصود.

---

[1] ينظر : ابو زكريا الفراء : ٤٥٣ – ٤٥٤ ، مدرسة الكوفة : ٣٣٨ – ٣٣٩ .

[2] معاني القرآن : ١ / ٣٣ .

[3] المصدر نفسه : ١ / ٢٣٥ .

[4] مدرسة الكوفة، ٣٥٠ – ٣٥١ ، ابو زكريا الفراء ٤٥٤ ، المصطلح النحوي : ١٨٧ – ١٨٨ .

[5] سورة القيامة، الايتان ٣-٤ .

[6] معاني القرآن : ٣ / ٢٠٨ .

[7] معاني القرآن : ٣ / ٢٠٨ .

ثانياً : المجال الأسلوبي لمصطلح " الصرف "

يكاد ينحصر المجال الاسلوبي لمصطلح " الصرف " في الافعال ، وبخاصة في فعل المستقبل[1] ، وذلك لتعدد الحروف الداخلة عليه واختلافها ، فضلاً عن ان صيغة المستقبل تتحول دلالتها تبعاً لها ، وتبعاً للسياق فيما إذا تجردت عنها[2].

ومن خلال الاستقراء تبين ان المجال الأسلوبي ينحصر في أجوبة ستة مواضع هي:الجحد والاستفهام والنهي والتمني واليمين والدعاء وفيما يأتي تفصيلها:

١. الجحد :

وهو ما ذكره الفراء صراحة في توضيحه للصرف تمثيلاً وهو الذي عرضناه في أول البحث ، ولا بأس من تذكره وهو قوله : ((ان يجتمع الفعلان " بالواو " أو " ثم " أو " الفاء " أو " أو " وفي أوله جحد او استفهام ثم ترى ذلك الجحد او الاستفهام ممتنعاً ان يكر في العطف ، فذلك " الصرف ")) [3] .

والفراء يسوق هذا التعريف في معرض تفسيره قوله تعالى : ((ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)) [4] ليعلل النصب في " ويعلم " بأنه جمع ممتنع من ان يحدث فيه ما احدث في اوله ، أي : لا يجوز العطف عليه . ولكن الفراء جوز فيه الاتباع على الرغم مما قدمه ، مستشهداً بقراءة الحسن بالخفض (("ويعلم الصابرين " يريد الجزم))[5] ؛ معللاً ذلك بأنه ((نسق في اللفظ ، ولكونه ممتنعاً ايضاً ان يحدث فيه ما أحدث في أوله))[6] .

ويزيد الفراء هذا الاسلوب ايضاحاً باحتجاجه له بقوله :

((الا ترى انك تقول : " لست لأبي ان لم أقتلك " أو إن لم تسبقني في الارض". وكذلك يقولون:لا يسعني شيء، ويضيق عنك، ولا تكر "لا" في "يضيق"))[7]. بل انه

---

[1] يصطلح الفراء على " الفعل المضارع " عند البصريين بـــ " المستقبل " صيغة او فعلاً وهو اوفق مما عند البصريين .

[2] ذكرنا فيما سبق اطلاق الفراء مصطلح " الصرف " على بعض الاسماء المنصوبة مع التمثيل .

[3] معاني القرآن : ١ / ٢٣٥ .

[4] آل عمران ١٤٢ .

[5] معاني القرآن : ١ / ٢٣٥ .

[6] المصدر نفسه : ١ / ٢٣٥ – ٢٣٦ .

[7] المصدر نفسه : ١ / ٢٣٦ .

جوز ان تكون الجملة الثانية مردودة " معطوفة " على ما قبلها وفيها معنى " الصرف " ، فالعرب تقول : ((" لست لأبي ان لم أقتلك او تذهب نفسي " فهذا مردود على أول الكلام ومعناه " الصرف " لانه لا يجوز على الثاني إعادة الجزم بلم)) [1] .

٢- الاستفهام :

وهو ما ذكره الفراء في النص المذكور في اسلوب الجحد، ويقصد به ان لا يكون حكم الجملة الثانية كحكم الجملة الولى بالاستفهام فاذا تساويا في الحكم كان العطف.

وهو ما قصده في تفسيره قوله تعالى : ((لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق)) [2] ، ومثل له بقوله : ((لو انك قلت في الكلام : لم تقوم وتفعل يا رجل؟ على الصرف بجاز فلو نصبت " وتكتموا " كان صواباً))[3].

ويظهر هذا الوجه في قوله تعالى : ((فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد))[4] ، فقال : ((ليس بمعطوف على " فيشفعوا " ، انما المعنى – والله اعلم – او هل نرد ، فتعمل غير ذا الذي كنا نعمل ، ولو نصبت " نرد " على ان تجعل "أو" بمنزلة "حتى" كأنه قال:فيشفعوا لنا ابداً حتى نرد فنعمل ، ولا نعلم قارئاً قرأ به))[5].

وفي قوله عز وجل : ((أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على ان نسوي بنانه)) [6] علل نصب " قادرين " بأنها ((نصبت على الخروج من " نجمع " كأنك قلت في الكلام : أتحسب ان لن نقوى عليك ، بلى قادرين على اقوى منك يريد : بل نقوى مقتدرين على اكثر من ذا)) [7] .

ووجه الآية وصوبها لو كانت رفعاً على الاستئناف ، بقوله : ((كأنه قال : بلى نحن قادرون على اكثر من ذا)) [8] .

---

(1) المصدر نفسه : ١ / ٣٤ .

(2) آل عمران ٧١ .

(3) معاني القرآن ١ / ٢٢١ .

(4) الاعراف ٥٣ .

(5) معاني القرآن : ١ / ٣٨٠ .

(6) القيامة ٤ .

(7) معاني القرآن : ٣ / ٢٠٨ .

(8) المصدر نفسه : الموضع نفسه .

وخطأ قول الناس في علة نصب " قادرين " على ان الاصل : ((بلى نقدره فلما صرفت الى قادرين نصبت)) [1] ، لأن الفعل – في رأيه – ((لا ينصب بتحويله من يفعل الى فاعل))[2] . ويحتج له بقوله : ((الا ترى انك تقول : أتقوم الينا ، فان حولتها الى فاعل ، قلت : أقائم ، وكان خطأ ان يقول : أقائماً انت الينا ؟))[3] .

وكان الناس قد احتجوا بقول الفرزدق [4] (ت ١١٠ هـ) :

على قسم لا اشتم الدهر مسلماً ولا خارجاً من في زور كلام

وقالوا : ((إنما اراد : لا اشتم ، ولا يخرج ، فلما صرفها الى خارج نصبها))[5] ، وقد نقض الفراء حجتهم بأن الفرزدق ((إنما نصب لانه اراد : عاهدت ربي لا شاتماً احداً ولا خارجاً من في زور كلام ، وقوله : " لا اشتم في موضع نصب))[6].

٣- النهي :

وفي جواب النهي كما في قوله تعالى : ((ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق وانتم تعلمون))[7] . يقول الفراء عنها[8] : ((إن شئت جعلت " وتكتموا " في موضع جزم ، تريد به : ولا تلبسوا الحق بالباطل ، ولا تكتموا الحق[9] ، فتلقي " لا " لمجيئها في أول الكلام . وفي قراءة أبي : ((ولا تكونوا أول كافر به وتشتروا بآياتي ثمناً قليلاً))[10] فهذا دليل على ان الجزم في قوله :

---

(١) المصدر نفسه : الموضع نفسه .

(٢) المصدر نفسه : الموضع نفسه .

(٣) المصدر نفسه : الموضع نفسه .

(٤) ينظر ديوان الفرزدق : ٧٦٩ ، الكتاب ١ / ٣٤٦ .

(٥) معاني القرآن : ٣ / ٢٠٨ .

(٦) معاني القرآن ٣ / ٢٠٨ .

(٧) البقرة ٤٢ .

(٨) معاني القرآن : ١ / ٣٣ .

(٩) ينظر : المصدر نفسه ، الموضع نفسه .

(١٠) المصدر نفسه ، الموضع نفسه .

((وتكتمــوا الحــق)) مســتقيم صواب ومثله : ((ولا تــأكلوا أموالكــم بالبــاطل وتدلوا بها إلى الحكام))[١] وفــي قــراءة أبي[٢] : ((ولا تــأكلوا أموالكــم بالبــاطل وتدلوا بها إلى الحكــام))، وكذلك : ((يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرســـول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمــون))[٣]، وفــي إحــدى القراءتيــن : ((ولا تخونــوا أماناتكم))[٤]، وان شئت جعلت هذه الأحرف المعطوفة بالواو نصباً على مــا يقــول النحويون من الصرف)).

بل جوز الفراء إلغاء " الا " المكررة في قراءة ابي لقوله تعــالى : ((... ولا تدلوا بها الى الحكام)) ، وقراءة : ((ولا تخونوا اماناتكم)) فتكون الايــات نصبــاً على الصرف غير معطوفة او مجزومة عطفاً . واحتج بقول الشاعر [٥]:

فلا تقــعدن علــى زخةٍ   وتغمر في القلب وجداً وخيفاً

ويقول الشاعر[٦] :

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

يقول عنه : ((الا ترى انه لا يجوز اعادة " لا " في ((وتأتي مثله)) فلذلــك سمي صرفاً إذ كان معطوفاً ولم يستقم ان يعاد فيه الحادث الذي قبله))[٧] .

ومع ذلك فأن الجزم في هذا البيت جــائز ، أي : ((لا تفعلــن واحــداً مــن هذين))[٨] . وكما تقول : ((لا تسرق وتصدق ، معناه: لا تجمــع بيــن هذيــن كــذا وكذا))[٩].

---

[١] البقرة : ١٨٨ ، وينظر معاني القرآن : ١ / ١١٥ .

[٢] معاني القرآن ١ / ١١٥ .

[٣] الانفال ٢٧ ، ينظر : معاني القرآن : ١ / ٤٠٨ .

[٤] معاني القرآن : ١ / ٤٠٨ .

[٥] صخر الغي ، ديوان الهذليين ٧٤/٢ على زخة : على غيظ .

[٦] ينظر : معاني القرآن ٣٤/١ ، ١ / ١١٥ ، دقائق التصريف : ٣٨ .

[٧] معاني القرآن : ١ / ٣٤ .

[٨] المصدر نفسه ١ / ١١٥ .

[٩] المصدر نفسه : الموضع نفسه .

٤. التمنـــــــي :

العـــرب عنـــد الفـــراء ((تنصب ما أجابت بالفاء في " ليت ")) ، لأنـــها فـــي رأيــه ((تمنٍ ، وفي التمني معنى : يسرني ان تفعل فأفعل . فـــهذا نصـــب، كأنـــه منســوق ، كقـــولك فـــي الكـــلام : وددت ان أقـــوم فيتبـــعني الناس))[١]. فهـــذا اوجـــه، وفـــي التمنـــي عنـــد الفـــراء وجـــه آخـــر وهـــو : ((جـــواب صحيـــح يكـــون لجحـــد يكون ينوي في التمني ، لأنه مـــا تمنـــى مـــا مضى فكأنه مجحود))[٢] مستشهداً على ذلك بقوله: ((الا ترى ان قولـــه : ((يـــا ليتني كنت معـــهم فأفـــوز)) فالمعنى : ((لم أكن معهم فـــأفوز))[٣] ويسترســـل الفراء فـــي الكلام على جواب التمني فيستشـــهد بقوله تعالى: ((يا ليتنـــا نـــرد ولا نكذب))[٤].

وهي في قراءة عبد الله بالفاء ايضاً : ((نرد فلا نكذب بآيات ربنا)) فمـــن قرأها كذلك جاز النصب على الجواب ، والرفع علـــى الاســـتئناف[٥]، أي : فلســـنا نكذب))[٦].

ويشير الى وجهي القراءة بالواو ، فيقول : ((وفي قراءتنا بالواو ، فـــالرفع في قراءتنا اجود من النصـــب ، والنصب جائز [٧] على الصرف ، كقولـــك : ((لا يسعني شيء ويضيق عنك))[٨] .

---

[١] معاني القرآن : ١ / ٢٧٦ .

[٢] المصدر نفسه : الموضع نفسه .

[٣] النساء : ٧٣ ، معاني القرآن : ١ / ٢٧٦ .

[٤] الانعام ٢٧ .

[٥] وهي قراءة نافع وابي عمرو وابن كثير والكسائي .

[٦] معاني القرآن : ١ / ٢٧٦ .

[٧] وهي قراءة حمزة ، وعاصم في رواية حفص .

[٨] معاني القرآن : ١ / ٢٧٦ .

٥. الدعـــــاء :

في قوله تعالى : ((ربنا اطمس على اموالهم واشدد علـــى قلوبـــهم ، فـــلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم))[١]. يقول الفراء : ((قوله : " فلا يؤمنوا " . كـــل ذلك دعاء ، كأنه قال : اللهم ((فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم))))[٢] .

ويقلب الفراء الآية على وجهها المحتملة ، فيقول : ((وان شـئت جعلـت " فلا يؤمنوا " جواباً لمسألة [٣] موسى (عليه السلام) أياه ، لأن المســـألة خرجـت على لفظ الامر ، فتجعل "فلا يؤمنوا" في موضع نصب على الجواب فيكون كقـــول الشاعر[٤] :

يا ناق سيري عنقاً فسيحاً الى سليمان فنستريحا

وليس الجواب يسهل في الدعاء لأنه ليس بشرط))[٥].

٦. اليميـــــن :

جـوز الفـراء ان تكـون الجملـة التي بعد (الـواو) المـــراد بـها القســـم مردودة (معطوفة) على الاولى ، وفيـــها معنـى الصـرف ، يقـول : ((يقولون : والله لأ ضربنك في الأرض ، فبهذا مردود على أول الكلام ، ومعنـاه : الصرف ، لأنه لا يجوز ... إعادة اليمين على " والله لتسـبقني " ، فتجـد ذلـك اذا امتحنت الكلام)) [٦] .

---

(١) يونس ٨٨ .

(٢) معاني القرآن : ١ / ٤٧٧ – ٤٧٨ .

(٣) أي في قوله : اطمس وما عطفت عليه .

(٤) هو ابن نجم في ارجوزة يمدح فيها سليمان بن عبد الملك والعنق : ضرب من سير الابل .

(٥) معاني القرآن : ١ / ٤٧٧ – ٤٧٨ .

(٦) معاني القرآن ١ / ٣٤ .

الخاتمـــة

لعل من اهم النتائج التي يمكن ذكرها مجملة ما يأتي :

١. ان مفهوم مصطلح (الصرف) اوسع مما عرض له الفراء في حده الناقص غير التام ، ومما عرض له المحدثون ، وتتجلى سعته في ستة أساليب هي : الجحد والاستفهام والنهي والتمني والدعاء واليمين .

٢. عدم اقتصار (الصرف) على (الواو) المسماة بـ (واو الصرف) عند الكوفيين فيما نقل عنهم ، فهناك أحرف أخر للصرف ذكرها الفراء هي : أو ، ثم،الفاء .

٣. يتضح المجال النحوي لمصطلح (الصرف) من خلال عمله في الافعال والاسماء على السواء ، وليس كما ذهب اليه بعضهم من انه يعمل في الافعال فقط . لكن مجاله الاسلوبي ينحصر في الافعال من دون الاسماء .

٤. ان اعتراض البصريين على عمل (الصرف) أو (الخلاف) عند الكوفيين في الأصول والفروع ليس بذي بال ، لأن النزاع لفظي في الاصل ، لا يترتب عليه خلاف عملي ، ولأن العامل وقوته عندهما مغيبان سواء أكان العامل مضمراً ، مقدراً أم معنوياً .

٥. لم يكن مصطلح (الخلاف) من مصطلحات الفراء ، ولم يقل به صراحة، بل قال بـ (الصرف) الذي ضمن معناه بعض ما تضمنه مصطلح (الخلاف) . وما ذهب اليه بعض القدماء والمحدثين في غير ذلك ، فمحمول على الاتساع والتجوز ان لم يكن محمولاً على التوهم .

٦. ندر مجيء مصطلح (الخروج) عند الفراء ، ولم يحده الفراء بحد ، ولكن يفهم من خلال امثلته انه مقارب للصرف ان لم يكن مرادفاً له .

٧. لعل مصطلحي (الخلاف والصرف) ليسا من مصطلحات الفراء المبتكرة تسمية ومضموناً ، إذ انه يذكر عبارة (والصرف عند النحويين) وما شابهها ، أو أنها تحمل على التواضع منه ، لكن العبارات المتكررة لا تساعد على ذلك .

٨. يستعمل الفراء أساليب التخاطب اليومي في التقرير والاستشهاد ، فضلاً عن الآيات والاحاديث والشواهد الشعرية .

والحمد لله رب العالمين

روافـــد البحث

وخير ما يبتدئ به :

١. القرآن الكريم .

٢. ابو زكريا الفراء ، ومذهبه في النحو اللغة : احمد مكي الانصاري – الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية – القاهرة ، ١٩٦٤ م .

٣. الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين – كمال الدين ، ابو البركات عبد الرحمن بن ابي سعيد الانبلري (ت ٥٧٧ هـ) = ط٤ – مطبعة السعادة – القاهرة – ١٩٩١ م.

٤. الجنى الداني في حروف المعاني – الحسين بن قاسم المرادي – تحقيق : د. فخر الدين قباوة – منشورات دار الآفاق الجديد – ط٢ – بيروت ١٩٨٣ م .

٥. خزانة الأدب ولب لباب العرب على شواهد شرح الكافية – عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) – ط١ – المطبعة الميرية – بولاق – ١٢٩٩ هـ .

٦. دقائق التصريف : القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (من علماء القرن الرابع الهجري) – تحقيق : د. احمد ناجي القيسي ، و د. حاتم الضامن ، و د. حسين تورال – ط١ – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد – ١٩٨٧ م .

٧. ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – ط٢ – دار المعارف – مصر – ١٩٦٤ م .

٨. ديوان الفرزدق – نشر الصاوي – ١٣٥٤ هـ .

٩. ديوان الهذليين : القسم الثاني – مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٩٤٨ م .

١٠. شرح الكافية (كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) . شرح : رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) .

١١. شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش بن علي يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) – دار صادر – د . ث .

١٢. فلسفة المنصوبات في النحو العربي – عائد كريم علوان الحريزي – رسالة دكتوراه – اشراف محمد بدوي سالم المختون – جامعة القاهرة – كلية دار العلوم – ١٩٧٥ م .

١٣. كتاب سيبويه : تحقيق : عبد السلام محمد هارون – القاهرة – دار القلم – د . ت .

١٤. مدرسة الكوفة : منهجها في دراسة اللغة والنحو – د. مهدي المخزومي – مطبعة دار المعرفة – بغداد – ١٩٥٥ م .

١٥. المصطلح النحوي ، نشأته وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري – عوض احمد القوزي – شركة الطباعة العربية – الرياض ١٩٨١ م .

١٦. معاني الحروف – ابو الحسن علي بن عيسى الرماني – (ت ٣٨٤ هـ) – تحقيق : د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي – ط٣ – دار الشروق – ١٩٨٤ م .

١٧. معاني القرآن – ابو زكريا – يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، ج ١ : تحقيق : احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، ط١ ، القاهرة – دار الكتب المصرية – ١٩٥٥ م. ج٢ : تحقيق : محمد علي النجار – الدار المصرية للتأليف والترجمة – ١٩٦٦ م . ج٣ تحقيق : د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، مراجعة علي النجدي ناصف – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٢ م .

١٨. مغني اللبيب : ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١ هـ) – تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة المدني – القاهرة – د.ت.

١٩. المقتضب – ابو العباس ، محمد بن مزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) – تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة – المجلس الاعلى للشؤون

الاسلامية – لجنة احياء التراث الاسلامي – القاهرة – ١٣٨٦ هـ .

٢٠. مقدمة في علم المصطلح – د. علي القاسمي – الموسوعة الصغيرة (١٦٩) – دار الحرية للطباعة – بغداد – ١٩٨٥ م .

٢١. الموفي في النحو الكوفي : السيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي (ت ١٣٤٩ هـ) – شرحه : محمد بهجة البيطار – مطبعة الترقي – دمشق – ١٩٥٠ م .

٢٢. نحو القراء الكوفيين : خديجة احمد المفتي – ط١ – المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة – ١٩٨٥ م .

٢٣. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) – تحقيق وشرح : د. عبد العال سالم مكرم – دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع – الكويت – ١٩٧٩ م .